



دور التوحيد في بناء الحضارات والمجتمعات

رؤية قرآنية

السيد حسن النمر

الصائغ الموسوي

دار الولاء

بيروت - لبنان

دور التوحيد في
بناء المجتمعات والحضارات



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب. 25/307
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com



ISBN: 978-9953-549-48-0

اسم الكتاب: دور التوحيد في بناء المجتمعات والحضارات

المؤلف: السيد حسن النمر "الصائغ الموسوي"

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الاولى: بيروت ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دراسات قرآنية

٣

دور التوحيد في بناء المجتمعات والحضارات

رؤية قرآنية

بقلم

السيد حسن النمر "الصائغ الموسوي"

دار الولاء

بيروت _ لبنان



مدخل منهجي

١ ـ الإشكالية والمنهج

هل يتمكن الدينُ أن يبني حضارةً ومجتمعاً إنسانياً؟

سؤالٌ ـ قديمٌ، جديدٌ ـ يعبِّر عن إشكالية تاريخية أثيرت ولا تزال تثار بصيغ متعددة أمام الأطروحات الدينية، ويزداد الإشكال إلحاحاً كلما سجل الدين حضوراً في هذه الساحة أو تلك. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ لأن الأفكار تتصارع في ما بينها من خلال من يتبناها من الفرقاء المختلفين. وليس ذلك، أعني التعددية والتشدد في الاختيار، معيباً ما دام في حدود الرأي والرأي الآخر، ولكن المعيب هو أن يختار هذا الفريق أو خصمه أساليب غير شرعية وغير أخلاقية في الصراع، أو غير موضوعية وغير منطقية في اختيار هذا الدين أو ذاك وتبني هذه الفكرة أو ما يخالفها.

وهذا السؤال قد يثيره بعضهم هنا وهناك لعدة أسباب، منها:

١ ـ التشكيك بحسنِ نيةٍ في قدرة الدين، عموماً، والدين الإسلامي خصوصاً، علَى إقامةٍ حضارة تضارع ما شُيِّد من حضارات عبر التاريخ، وعلى بناء مجتمع له مبادئه المجتمعية كما نراه لدى المجتمعات المتمدنة والمتحضرة.

وهذا الفريق، ذو النية الحسنة، قد يدفعه إلى ذلك سببٌ أو عدة أسباب، منها:

أولاً: الجهل بمعارف الدين.

ثانياً: ضعف الاعتقاد بمعارف الدين.

ثالثاً: الاهتزاز النفسي أمام هجوم الأعداء والشك جراء ذلك في أن معارف الدين قادرة على بناء الحضارة والمجتمع.

رابعاً: التصورات المغلوطة للتحضر المنشود.

خامساً: الصور المغلوطة عن الدين نتيجة التطبيقات الخاطئة عبر التاريخ.

٢ ـ التشكيك بنيةٍ غيرِ حسنةٍ على قدرة الدين على تشييد حضارةٍ وبناء مجتمعٍ.

ودوافع هذا الفريق كثيرة، يمكن اختصارها في العداء الذي يلازمه غالباً الأحكامُ غير المنصفة.

وأحسب أن من الضروري التمييز بين الفريقين، لأن علاج الإشكالية يأخذ منحى متفاوتاً حسب كل فريق.

وقبل أن نعالج هذه الإشكالية لا بأس بتبرير استبدالنا عنوان الورقة بالتساؤل عن (دور التوحيد في بناء الحضارات والمجتمعات)، بدل أن نختار عنوان (دور الدين في بناء الحضارات والمجتمعات). فأقول:

لما كان (التوحيد) هو جوهر الدين ومحوره، وخصوصاً الدين الإسلامي، فمن الطبيعي أن تدور القدرة في بناء الحضارة والمجتمع والعجز عن ذلك حول هذه الفكرة الجوهرية والمحورية، فإن كان القول بـ(التوحيد) سبباً للعجز فلا معنى لافتراض الدين قادراً.

ثم إن (التوحيد) يعني: استلهام جميع المعارف النظرية، أعني الرؤية الكونية وما يتفرع عنها، وجميع الأحكام العملية في الجانب التشريعي وفي الجانب القيمي من الإيمان بالله تعالى خالقاً ورباً ومولى. وهذا يستلزم دوران جميع أحكام الدين حول (التوحيد)، الأمر الذي يؤكد أن بناء الحضارة الإنسانية وبناء المجتمع الإنساني يجب أن يتمحور حول التوحيد، وبعبارة أخرى : تشييد حضارة توحيدية ومجتمع موحِّد.

فالسؤال إذن يجب أن يكون:

هل يمكن بناء حضارة توحيدية ومجتمع توحيدي؟

للإجابة عن هذا السؤال أحسب أن من المنطقي التخلص من الصور النمطية للحضارة والمجتمع المنشودين، والتي يقفز غالباً الواقع الغربي عندما يثار هذا السؤال.

والسبب في ضرورة التخلص من هذه الصورة هو أن الواقع الغربي وما شابهه لا يعني نهاية التاريخ، ولا يعني ما يجب أن يكون عليه الواقع الحضاري والمجتمعي كما يريده بعض مثيري مثل هذه التساؤلات من المنسوبين للفريقين المشار إليهما سابقاً.

فلسنا ملزَمين بأي صورة من صور الإلزام أن نرى الحضارة والمجتمع المنشودين بعيون غربية، وإنما يجب أن يكون هدفنا الذي نصبو إليه هو: الوصول إلى أفضل صورة للحضارة والمجتمع ؟ وما هو دور التوحيد والدين في بناء ذلك؟

٢ ـ القرآن رؤية متكاملة

يمتاز القرآن الكريم من بين ما هو مطروح على الناس؛ من كتب سماوية ووضعية، بسلسلة من الخصائص تفرض

أن يكون في الصدارة، فهو:

أولاً: وحيٌ من عند الله العزيز الحكيم. ولإثبات ذلك والاستدلال عليه مجال آخر.

ثانياً: خلوه من التهافت والتناقض، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]. وهذا يعني أن الرؤى والأطروحات الواردة في القرآن الكريم متناغمة وينسجم بعضها مع بعض، الأمر الذي تتطلبه الرؤية التي يراد بناء حضارة ومجتمع، وخلاف ذلك سنكون في صراع وتضاد.

ثالثاً: اشتماله على جميع ما يحتاجه الناس بل العقلاء، في ما يصبون إليه من سعادة في الدنيا قبل الآخرة. وقد أقر هذه الحقيقة عقلاء الإنس وحكماؤهم بل عقلاء الجن وحكماؤهم، وقد حكى الله تعالى ذلك في نص كريم، جاء فيه:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ

بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

وفي الحادثة والنص ما يجب التوقف عنده، وذلك أن هنا مراحل ثلاث قام بها هؤلاء العقلاء من الجن، وينبغي لعقلاء الإنس أن لا يكونوا أقل حظاً منهم في التعامل الحسن مع هذا الكتاب، وهذه المحطات هي:

الأولى: توفيق من الله في قبول الحق

في هذه المحطة نجد:

١ ـ أن هذا النفر من الجن أتيح لهم بتوفيق من الله تعالى أن (يستمع) إلى القرآن، والاستماع؛ بما يعنيه من تحفز واستعداد تام للإنصات والتسليم بالمضمون المقبول، يشكل المقدمة المنطقية لـ(الإنصات)، الذي هو بدوره مقدمة منطقية للتفاعل مع الفكرة.

٢ ـ أن هذا النفر من الجن أحسن التفاعل مع (القرآن)، بقبوله.

وقد أشارت الآية إلى هذه المحطة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

الثانية: أداء المسؤولية تجاه الخلق

لم يقف هذا النفر عند حدود (الذات) ليبتلى بالأنانية السلبية، بل تجاوزها ليستشعر المسؤولية الإنسانية والأخلاقية تجاه نظرائه من المخلوقين ذوي العقول، وذلك:

أولاً: من خلال ممارسة الدعوة إلى الله تعالى بإشفاق عبر (الإنذار).

ثانياً: من خلال السعي إلى التوظيف الشرعي والسليم لما هو مقدس عند المنذَرين، أعني ما أنـزل على موسى، لتهيئة قومهم إلى قبول ما هو جديد. لعلمهم أن العادة جرت على التحفظ على الجديد؛ وإن توفر على دلائل الصحة في ذاته والقبول لدى من خوطب به. مؤكِّدين على أن هذا الجديد موافق ومنسجم مع التاريخي (ومصدِّق) لمضمونه.

وقد أشار النص القرآني إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١].

الثالثة: التحذير من المخاطر

النفس الإنسانية يدفعها إلى الفعل والترك حافزان اثنان:

الأول: الرغبة في الخير (جلب المنافع)

الثاني: الفزع من الشر (دفع الضرر)

وقد أشارت الآية إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

ونخلص في المقام إلى أن الإنسان ينبغي له أن يراعي أربعة أمور:

الأمر الأول: أن يختار الدستور الأمثل المشتمل على جميع مصالحه الحقيقية بعيداً عن الأوهام والخيالات، وهذا ما يتمثل في القرآن الكريم باعتباره الأصلح للهداية بلحاظ أنه ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ١٠]، وهذا ما ينشده الإنسان بطبعه ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

الأمر الثاني: أن على هذا الإنسان التنبه إلى أنه قد يغفل أن لتجسيد الهداية على أرض الواقع شرطاً هو الانتقال من عالم النظرية إلى واقع التطبيق والفعل. ولهذا نبه الحق تعالى إلى أن القرآن لا يؤثر أثره بغير التفاعل الإنساني، وأنه بشارة ليس لكل أحد وإنما لخصوص من آمن به بالعقل والوجدان وطبق تعاليمه بالجوارح والأركان، وعندها فقط يكون القرآن مبشّراً ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء:٩].

الأمر الثالث: أن ثمة حقائق وجودية لا يجوز عقلاً التنكر لها أو إغفالها في مقام الاعتقاد والسلوك. ولهذا لم يكتف الرحيم بنا عز اسمه بما مرّ بل ضمَّ إليه الإشارة الصريحة إلى أن المنطق القرآني يشتمل على مبادئ أساسية منها التصديق بالمعاد، الذي يعني رجوع الناس إلى الله تعالى ليحاسبهم على سلوكهم فيثيب المحسن منهم ويعاقب المسيء، وأن من لم يصدق بذلك فلن ينجو من الأذى، فقال: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء:١٠].

الأمر الرابع: أن في الذات الإنسانية قصوراً عن التخطيط لما يرجوه الإنسان لنفسه من مصالح لا تعينه قواه الذاتية على اكتشافها والوصول إليها نظرياً، ويترتب على ذلك سعيه وراء

ما يضره اعتقاداً منه أنه مما ينفعه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١].

٣ ـ التجزئة والابتسار

من خصائص الرؤية القرآنية أنها لا تسمح بتوزيع معارفها على جزر منفصلة، بحيث يسوغ للمؤمن به أن يسلم ببعضها ويتنكر لبعضها الآخر. لأن طبيعة الترابط بين المعارف القرآنية، باعتبارها وحياً إلهياً، لا تقبل التجزئة والابتسار.

وقد كان التلاعب بالوحي المتمثل في الكتب التي توحَى مضامينُها من قِبل الله تعالى إلى الأنبياء عليهم السلام هو أحد المشاكل التي عانت منها البشرية، حيث كانت الانتقائيةُ هي الحاكمةَ على السلوك العام إلا من عصم الله، وكنموذج على ذلك نسوق قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥].

فهو ـ إذن ـ إخفاء لبعض حقائق الكتاب إما لأنهم لا يؤمنون بها، أو لأن تطبيقها سيضر بمصالحهم، وفي كلتا الحالتين فإنهم لم يبنوا إيمانهم بالوحي على قاعدة التسليم، وإنما الانتقاء!

وفي نص قرآني آخر نجد الذم الإلهي صريحاً بل رقى إلى مستوى الحكم بنفي تدينهم بدين الله، وذلك بالنسبة لمن تعامل بوعي وقصد مسبَق بانتقائية واجتزاء مع الوحي، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة:٦٨].

وكذلك فإن الرؤية القرآنية ترفض بقوة أشكال الانتقائية على مستوى التطبيق بداعي الإيمان ببعض الأحكام وعدم الإيمان بأحكام أخرى، قال تعالى مخاطباً أهل الكتاب: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[البقرة:٨٥].

ولا مجال قرآنياً للمساومة على معارف الدين لنقبل أن يؤمن من ندعوهم ببعض الوحي ويتحفظون على الباقي، وذلك لأن هذه المعارف تعبر عن حقائق واقعية ومصالح حقيقية فرض الله تعالى على الناس، من منطلق مولويته، الإيمانَ بها وتطبيقَها، إذ لا شريك له فيها وسيرجع الناس إليه

وحده ليحاسب عليها، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ [الرعد:٣٦].

ولو أننا عدنا إلى القرآن لنتعرَّف على السر وراء رفض هذه التجزئة فسنجد التالي:

أولاً: القرآن تفصيل وتبيان

فهذا الكتاب يتضمن ما يحتاجه الناس من أجل الاهتداء، وكل ما فيه أقيم على أساس الحق، ومما يحتاجه الناس فن بناء الحضارة والمجتمع، وما دام كذلك فاللازم تطبيقه بأجمعه، وإلا سنكون على بينة في مسار وهو خصوص ما طبقنا القرآن فيه، وعلى غير بينةٍ في مسارٍ آخر، وهو الذي أعرضنا عن القرآن فيه.

أ ـ قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:٨٩].

ب ـ قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام:١١٤].

ثانياً: القرآن خالٍ من العيب

مما يحرص عليه الناس في بناء أفكار وتنظيم حياته هو استقامة الأفكار كمفردات وكرؤى ومشاريع، ولا يستطيع أحدٌ أن يدَّعي أنه حقق هذه الأمنية بالمطلق، بينما نجد القرآن الكريم يصدح بصوت عال أنه أنجز هذه الرغبة بالتمام والكمال، فقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [الكهف: ١]. وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. ولا عجب فهو ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

٤ ـ حسن الاستقبال

من كل ما تقدم ندرك أن الرؤية القرآنية، التي نرجو أن تكون القاعدة الراسخة لكل ما نفكر فيه وندعو إليه ونسعى إلى تطبيقه ومشاركة الآخرين لنا فيه، هذه الرؤية لا تتقبل سوى حسن الاستقبال للقرآن بكل ما فيه دون انتقاء ولا اجتزاء أو ابتسار.

ولكننا سنجد الناس في ما يتعلق بهذا المبدأ يتوزعون على شرائح ثلاث، كما يفيده قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]:

فالكتاب ـ الذي هو القرآن ـ هو نعمة كبرى اصطفى الله عز وجل الناس من بين المخلوقات ومنَّ عليهم بنعمة الكتاب، فإذا بهم، لعوامل عديدة، يتفاوتون في تلقيه، فمنهم المقصر الظالم لنفسه، ومنهم المتوسط الحال في التلقي والعمل، ومنهم السابق بالخيرات والمبادر إلى اغتنام الفرص بالباقيات الصالحات.

وهذه الشريحة الأخيرة هي التي أحسنت استقبال القرآن الكريم وتدبرتْ مضامينه ووجدت فيه أسباب الصلاح والإصلاح لتنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وبخالقه عز وجل، فتشبثت به وتمسكت بحبله لتنجو من مخاطر محققة تحيط بها من كل جانب. وهؤلاء هم من جاء في حقهم قوله تعالى مدحاً لهم وإجلالاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وهذه الشريحة هي التي بشَّرتها الرؤية القرآنية بأن منهم بناة الحضارة الإنسانية الراشدون وورثة الأرض في منتهى مطاف البشرية على وجه الأرض، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

بعد هذا المدخل نعيد التساؤل مرةً أخرى: هل يمكن للتوحيد أن يبني حضارةً إنسانيةً ومجتمعاً إنسانياً؟

ونجيب عن ذلك بإيجاز يناسب هذه الدراسة وظروف كتابتها، ونقول:

للتعرف على الرؤية القرآنية التوحيدية في الحضارة والمجتمع ينبغي أن نعالج ذلك في مبحثين نستعرض في الأول منهما معنى الحضارة والمجتمع، وفي الثاني دور التوحيد وثمراته في بناء الحضارة والمجتمع السياجات التي لا غنى عنها لحماية التوحيد وثمراته:

المبحث الأول

معنى الحضارة والمجتمع

قد لا يكون من المهم جداً أن نقوم بعملية تعريف منطقي لمعنى الحضارة ومعنى المجتمع، لأن أهمية التعريف تكمن في الانتقال من المعلوم إلى المجهول، خصوصاً في مقام التخاطب اللفظي أو المكتوب، فإذا كان الأمر المراد تعريفه واضحاً وجلياً فلا أهمية كبرى حينئذٍ للتعريف، لأن الغرض منه حاصل.

أجل، من المهم بل من الضروري أن يكون المتحاوَر فيه بيِّناً ومبيَّناً للطرفين أو الأطراف، أو سيكون الحوار كما يقال حوار طرشان.

١ ـ الحضارة

نعني بـ(الحضارة): **مجموعة المعارف المكوِّنة لوجود اجتماعي فاعل بنحو إيجابي في التاريخ.**

ليدخل في هذا التعريف أي أمة من الأمم كان لها دورٌ إيجابي في التاريخ الإنساني، وخلاف ذلك ستكون كثيرٌ

من الحضارات خارج دائرة تعريف (الحضارة). وبطبيعة الحال، فإن الحضارات البشرية تتفاوت في معارفها ووجودها الاجتماعي وفاعليتها.

وفي التعريف الذي نختاره للحضارة سيكون أطراف الحضارة اثنان هما:

١ ـ الخالق

٢ ـ المخلوق (الإنسان)

وهناك طرفان قد يقال بأنهما من مكونات الحضارة، أعني بهما (المكان، والزمان). والذي أحسبه أنهما عاملان مساعدان، باعتبار أنهما يشكلان بيئة الفاعلية الإنسانية، دون أن يكونا مكوِّنين من مكوناتها، فلو أمكن للإنسان أن يفكر دون زمان ويجسد فكرته دون مكان أو زمان لتحققت الحضارة دونهما.

ومما يؤيد ما نقول هو أن المتحضر في شرق الأرض، الذي هو مكان محدد، إذا انتقل إلى غرب الأرض فسيكون متحضراً، مما يعني أن أرضه التي كان فيها ليس لها دورٌ في تحضره. وهكذا نقول بالنسبة إلى من عاش في زمن مضى لو بعث حياً في مثل زماننا، وبالعكس، مع حفظ الفارق المعرفي بين الطرفين.

٢ ـ المجتمع

نعني بـ(المجتمع): (**مجموعةٌ كبيرةٌ من الناس تعيش على بقعةٍ جغرافيةٍ محددةٍ، وتتبنى رؤى مشتركةً للذات وللحياة والكون**).

فنحن ـ إذن ـ أمام فكرة آمن بها مجموعة من الناس وسعوا في تجسيدها على أرض الواقع، بغضِّ النظر عن عمق تلك المعارف وفاعليتها على الأرض.

فهل ثمة فرقٌ بين أن يكون المجتمع موحِّداً وبين أن يكون غير موحِّد في فعله الحضاري؟

ومن حيث المبدأ هل لمبدأ (التوحيد) دورٌ في بناء حضارة؟

وما هي الأصول والمبادئ التي تؤثر في توحيدية الحضارة وبناء المجتمع؟

هذا ما سنجيب عنه في المبحث التالي.

المبحث الثاني

دور التوحيد وثمراته في بناء الحضارة والمجتمع

(التوحيد) هو الفكرةُ الرئيسةُ في المنظومة المعرفية للموحِّد، وسنقصر حديثنا عن المسلم تحديداً. ولـ(التوحيد) تجلياتٌ وبصائرُ تشكِّل عقلَ المؤمن بها بحيث لا يمكن التفكيكُ بين توحيديتهِ على مستوى الفكر وتوحيديتهِ على مستوى الفعل الحضاري.

ولنقف على عدد من تلكم الأصول بعد التمهيد لذلك بمقدمة:

الدعوة إلى التوحيد محور دعوات الأنبياء عليهم السلام

مبدأ (التوحيد) كان حاضراً على الدوام في جميع الديانات والدعوات السماوية، لا يستثنى من ذلك نبي ولا رسول، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ولا تلتقي الأديان في شيء كما تلتقي على مبدأ (التوحيد)، بل إن هذا المبدأ هو الجامع المشترك بين الأديان السماوية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ... ﴾ [البقرة:٨٣]، وقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص:٦٥].

والسبب في ذلك أن (التوحيد) هو الركيزة الأساسية للدين، وهو القلب لقالب التشريعات والمعارف التي دُعِي الناس إلى الإيمان بها نظرياً وتطبيقها عملياً، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٢٩] فالموحِّد مستقرٌّ من الناحية النفسية لا تضارب في ولائه فهو لله وحده فحسب، وهذا يضفي عليه مزيداً من الاستقرار الذي يعينه على العمل والنشاط وهو ما تحتاجه الحضارات والمجتمعات، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

وتأسيساً على هذا جُعِل الأصلَ الأصيلَ والركنَ الركينَ،

وتفرَّع من هذه الشجرة الطيبة فروعٌ مثمرةٌ في عدة اتجاهات، تصب جميعها في الارتقاء بالإنسان الفرد والجماعة إلى الصلاح والإصلاح على مستوى ذاته وبنائها وعلى مستوى امتداده خارجها وعطائه للآخرين.

الأصل الأول: وجود الخالق

تنطلق الرؤية القرآنية في تفسير الوجود من أصل أصيل يتكون من ركنين اثنين:

الأول: أن هذا العالم بكل من فيه وما فيه (مخلوق)

الثاني: أن لهذا المخلوق خالقاً هو (الله) تعالى.

ومن الآيات التي أشارت إلى هذا الأصل بركنيه قوله تعالى حكايةً لجانب من حوار ممتد بين الرسل وأقوامهم الكفار: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[إبراهيم: ١٠].

وقال تعالى ـ في مقام تقرير هذا الأصل من خلال استهجان تنكُّر الناس وغفلتهم عمن يرزقهم؛ باعتبار خلقه لهم ودوام فيضه عليهم ـ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

فلا يمكن ـ إذن وحسب منطق القرآن ـ بناء حضارة راشدة دون التسليم بأصل وجود الله الخالق والرب، ولو أقيمت حضارة على أساس التنكر لهذا الأصل أو إهماله فإن مآلها سيكون الفناء عاجلاً أو آجلاً.

فالإيمان بـ(التوحيد) لا يسمح ببناء حضارة ملحدة أو مجتمع ملحد يتنكر لجود الله الخالق، لأنه اعوجاج في الفهم من جهة، ويترتب عليه انحرافات سلوكية من جهة أخرى.

وعليه، نقول إن الرؤية القرآنية الربانية تؤكد على حقيقة راسخة مفادها: أن صمام أمان المجتمع الراشد هو الإيمان الواعي والفاعل بـ(التوحيد). وبمقدار ما يتعمق هذا الإيمان ينجو المجتمع من آفات كثيرة عصفت بحضارات كثيرة عبر التاريخ. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل:٣٦].

الأصل الثاني: مبدأ التوحيد الإلهي

يترتب على الأصل السابق منطقياً مبدأُ (التوحيد في الألوهية). ويُراد بهذا الأصل: أن الألوهية، وما يتفرَّع عنها طبعاً، منحصرةٌ في الخالق الوحيد الذي هو الله وحده لا شريك له، وأن أيَّ موجود آخر لا دور له في الخالقية ولا حظ له في الألوهية. قال تعالى ـ في مقام الاستدلال على هذه الحقيقة ـ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

وكذلك نبَّه المنطقُ القرآنيُّ إلى أن مَن خالف هذه الأصلَ فقد اختار ما لا يملك عليك دليلاً ولا برهاناً، فقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٤]، ومن يفعل ذلك فقد أساء لنفسه قبل أن يسيء إلى الحق الذي تنكّر له بغير حقٍّ.

ومن ثَمَّ جاء التحذير من الوقوع في الكفر أو الشرك، لأن ذلك يعرِّض الكافر والمشرك إلى العذاب العاجل أو الآجل ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَإِيَّٰيَ

فَٱرۡهَبُونِ ۞ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [النحل:٥١-٥٢]

فالحضارة الإسلامية المبنية على التوحيد لا تقبل الكفر بالله ولا الشرك به، والمجتمع المسلم موحِّدٌ لأنه ينشد الواقعَ كما هو لا كما تشتهيه النفوس الإنسانية، ولأنه يسعى وراء الاطمئنان الذي ينافيه ما عدا التوحيد فبذكر الله فقط تطمئن النفس، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

الأصل الثالث: النفع والضرر من الله تعالى

يُضاف إلى الأصلين السابقين؛ ويترتب عليهما، أصلٌ ثالثٌ؛ يعنينا ويهمنا الإشارة إليه في بحثنا هذا من بين الحقائق الكثيرة التي ترتبط بالذات الإلهية، وهذا الأصل هو حصر الفاعلية التامة في هذا العالم، بلا فرق في ذلك بين النفع والضر، في الله تعالى فهو وحده الضار وهو وحده النافع. قال تعالى - في مقام التنبيه إلى خطأ الكفار والمشركين المعرفي والسلوكي - : ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣]. وقال تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس:٢٣].

ومبدأ (التوحيد) يعمِّق في وجدان الموحِّد أن جهة النفع والضرر الأصلية والأساسية والمؤثرة ليست سوى جهة واحدة تتمثل في الله تعالى، ويترتب على ذلك صفتان على درجة عالية من الأهمية في ما يتعلق بالفعل الحضاري:

الصفة الأولى: الشجاعة

وصفة (الشجاعة) لا يستغني عنها بانٍ لأي حضارة، لأنه يحتاج إلى مقاومة خصومات الأعداء ومواجهة عدوانهم، ولا يفعل ذلك سوى الشجعان. والموحِّد شجاع لأنه لا يرى غير الله ضاراً ولا نافعاً، ولن يكون خانعاً لو حلَّ به كربٌ بفعلِ عبدٍ فقيرٍ مثلِهِ مهما أوتي من القوة الظاهرة.

الصفة الثانية: السخاء

بناة الحضارات يحتاجون إلى صفة (السخاء) لأن البخلاء لا يعنيهم نشر الخير ولا أي شكل من أشكال العطاء، فهم أنانيون وضيقو الأفق، وأمة لا يمتد أبناؤها خارج ذواتهم ليستشعروا هموم الآخرين لا يمكن أن تكون أمة متحضرة ومآلها إلى الزوال والفناء إن عاجلاً أو آجلاً.

وتحت هاتين الصفتين يندرج الكثير من الصفات الحسنة والسمات الإيجابية التي لا غنى عنها في بناءِ حضارةٍ راشدة ومجتمعٍ رشيدٍ، لتتجلى بركاتُ التوحيد إذا أثمرتْ شجرتُه اليانعةُ في قلبِ الموحِّد.

الأصل الرابع: ضرورة بناء الإيمان بالتوحيد على البرهان الواضح

في الفكر الإسلامي لا يُراد من الموحِّد أن يؤمن بـ(التوحيد) قهراً وجبراً، بل يُراد منه أن يؤمِن بها تسليماً بما تقتضيه القواعد الفطرية والبراهين العقلية، واللازم أن يؤخذ بنحو (اليقين) المبني على البرهان والدليل وليس (التلقين) الذي يمكن أن يصنعه التعصب والهوى.

ولنقف على نموذجين قرآنيين سِيقا لبيان أن التوحيد ليس إيماناً مجرداً من البرهان، كما يمكن أن نراه في بعض الأديان.

النموذج الأول: أصحاب الكهف

أصحاب الكهف هؤلاء هم نموذج رائع للموحِّدين لم يكتف بالإيمان بل بناه على أساس البرهان، وهو ما يصنع لنا مجتمعاً حضارياً يقبل الأفكار ويرفضها على أساس منطقيتها وصوابها دون اعتباط ولا تعسف ولا تعصب.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا

مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ۞ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۞ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٩- ١٥].

وهو حوار نموذجي يكشف عن الروح البرهانية عموماً لا يستثنى من ذلك حتى أقدس فكرة وأهمها في المنظومة المعرفية أعني بها مبدأ (التوحيد)، فكيف بغيرها من الأفكار. وهنا وقفات:

الأولى: إقرارهم بحقائق الواقع وترابطه علم الكون فربهم الذي تولى رعايتهم هو رب كل شيء ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

الثانية: التزامهم الصارم بلوازم قناعاتهم الفكرية على مستوى السلوك ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ فما دام الله تعالى هو (الإله) فالواجب أن يكون هو المدعو والمطلوب منه لا غيره، وإلا وقع الداعي في ما

هو من قبيل التناقض.

الثالثة: موضوعيتهم التامة وتشددهم المنطقي مع الأفكار، فقد حللوا موقف قومهم المشركين فوجدوه مضاداً للصواب وخالياً من البرهان الذي لا بد منه في مثل هذه المسائل الخطيرة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ ﴾.

الرابعة: استنتاجهم المنطقي أن لله تعالى حقوقاً منها أن يوحَّد ولا يُشرَك به، ولو خالف أحد هذه المسلَّمة لكان ظالماً في أشد حالات الظلم وأقبحها لأنه وقع في افتراء وافتئات على الله تعالى: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾.

النموذج الثاني: حوارات افتراضية

وإلى جانب الحوارات التي سيقت كقصص حصلت، نجد في القرآن الكريم حوارات يمكن وصفها بالافتراضية، وهي الحوارات التي لقن الله فيها أنبياءه والمؤمنين فن الحوار مع خصومهم وكيف يشيدون أفكارهم على أساس البرهان، منها:

١ـ قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم

مُّعۡرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٤].

فالتوحيد ـ إذن ـ مبنيٌّ على أساس البرهان والدليل، وهذا دأب الأنبياء جميعاً. ومن خالف الأنبياء عليهم السلام بنى موقفه الشركي على أساس أنه (لا يعلم) من الناحية العقلية والعلمية أولاً، وعلى أساس الإعراض النفسي الذي هو النتيجة الطبيعية للجهل ثانياً.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ۞ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۞ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۞ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء:٤١ - ٤٤].

فمبدأ (التوحيد) ليس فكرة مصطنعة، وإنما هو حقيقة وجودية تذعن لها مفرداته العاقلة وغير العاقلة، والتي يجمعها عنوان التسليم الوجودي المستتبع للتسبيح بحمد الله والثناء عليه لما أنعم به عليها من نعم لا تعد ولا تحصى.

٣ ـ قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ۞ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾ [مريم:٨٢ - ٨٣].

وهذه الآية الكريمة تكشف عن الخطأ الجسيم الذي وقع فيه غير الموحِّدين، لما ساروا في طريق أعوج برجاء الحصول على ما يرجوه الناس لأنفسهم من خير، ليكتشفوا ـ بعد أن فات الأوان ـ أن الخير المرجو ليس في ما اختاروه، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، ولأن أحداً لن يوالي أحداً بصدقٍ إلا على أساس التقوى التي تجمع شتات المتفرق من الناس على الصواب في الفهم والصواب في التطبيق.

ونخلص من كل ذلك إلى: أن الحضارة الإسلامية والمجتمع المسلم يجب أن يتشكلا على أساس البرهان والعلم والمعرفة، وليس على أساس آخر، فلا مجال إذا شاع مبدأ التوحيد في أمة من الأمم أن تسير بغير علم ولا أن تنظم حياتها وتنظر لها بالخرافة والأوهام.

وإذا تكرَّست قيمة (العلم) فسيكون للمجتمع شأنٌ وأيُّ شأنٍ، وستثبت قدمه في عالم التحضر والرقي.

الأصل الخامس: التوحيد وتكريس قيم الصلاح والإصلاح

لا يمكن لمجتمع أن يكون متحضِّراً ـ حسب الرؤية القرآنية ـ إذا لم يكن حريصاً على تجنب الأخطاء والخطايا حتى لا تقع، وحريصاً على إصلاحها إن هي وقعت. وما من شك في أن ذلك يحتاج إلى وازع ودافع، ولن نجد أفضل من مبدأ (التوحيد) لتحقيق هذا الهدف السامي، فإن الموحِّد يضع نصب عينيه دائماً وأبداً، رضا ربه ورضوانه، ولن يستثنى من ذلك سرٌّ ولا علنٌ، ولا خلاٌ ولا ملأٌ، ولا حلٌّ ولا ترحالٌ. الأمر الذي يعني أن عليه انتهاج الحق قولاً وفعلاً، لأن الله تعالى لا يرضى بالباطل قل أو كثر، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٨٩-٩٠]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى:٤٢].

وهذه القيمة تعني في نفس الموحِّد (الفرد والجماعة):

أولاً: أن لا يفعل الخطأ

ثانياً: أن لا يصر عليه إن هو فعله

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وعليه، فإن الرؤية التوحيدية ترتقي بصاحبها فرداً ومجتمعاً إلى الحرص الشديد على تنقية الواقع الاجتماعي من أي شائبة تكون سبباً لتخلفه دنيا وآخرةً، وهذا ما لا يرضاه الله تعالى لأنه يريد من عباده الخطأ والخطيئة ولا يرضاهما له، قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الزمر: ٧].

والتوبة بمعناها العميق والشامل تصب في هذا الاتجاه، ولا يصح قصرها وحصرها على المعاصي والذنوب بين العبد وربه أخلاقياً وتشريعياً، ونحو ذلك، بل إنها تتسع لتشمل أي سلوك إنساني يمارسه الفرد أو المجتمع تجاه :

أ ـ الذات

ب ـ الخالق

ج ـ الإنسان الآخر؛ مؤالفاً كان أو مخالفاً

د ـ الحيوان

هـ ـ الطبيعة

وبقيمة التوبة المتفرعة عن أصل التوحيد يكون هذا الأصل وما يتفرع عنه عاملاً أساسياً ورئيساً من عوامل الرقي الحضاري للموحِّد والموحِّدين، ومانعاً أكيداً من الوقوع في وهدة التخلف والانتكاس في أي صعيد.

وينبثق عن هذا الأصل العام مجموعة قيم فرعية تصب جميعها في قناة الصلاح والإصلاح، ولنذكر منها ما يلي:

١ ـ الطهارة والتوبة

حاكمية الله تعالى لازمة الاتباع لأنه (الله)، وهو تعالى لا يرضى بالخطأ ولا بالخطيئة، ومن هذا وذاك مقاربة النساء في المحيض، كنموذج لحرص الله تعالى على نقاء المسلم والمسلمة من أي دنس. قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢].

وبالطبع، فإن هذا نموذج لما يحبه الله ويحرص على تجنيب عباده إياه، فكل ما يؤدي بالعبد إلى ما لا ينبغي له أن يذهب إليه فهو مرفوض ومحرم يجب التوبة منه لأن التوبة (طهارة).

فـ(التوحيد) يعين على دفع الموحِّد إلى أن يخلص نفسه من كل شائبة تشوه إنسانيته، وعلى رأس تلك الشوائب الوقوع في مخالفات شرعية، ومن لم يحرص على التخلص منها هو أعجز من أن يحرص على عدم الوقوع في العدوان على الغير. وما أحوج التحضر إلى العناصر الإنسانية الصالحة لإخراجه من عالم التنظير إلى عالم الواقع.

٢ ـ اتباع النبي ﷺ دون التولي والإعراض

الرؤية القرآنية تلفت أنظار المؤمنين إلى أن محبة الله تعالى يجب أن لا تبقى في حدود الشعار المعلَن دون تطبيقٍ على مستوى السلوك، وتؤكد على أن من لوازم محبة الله الحقيقية اتباعَ النبي ﷺ وطاعته بالسير وفقاً لسنته. وخلاف ذلك يكون الإنسان (متولياً) أي أعرض وانصرف وانتهى به الحال إلى الكفر. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢].

ولا يخفى أن التولي والكفر أمران نسبيان.

٣ ـ المثابرة على العمل الصالح على أساس الإيمان

الرؤية القرآنية تؤكد أن الله تعالى يحب الخير لعباده، ومن الخير أن يكون هؤلاء العباد مؤمنين عاملين بمقتضى إيمانهم، لأنهم سيسمون أنفسهم بـ(الظلم) إن لم يكونوا كذلك. وعليه، فـ(التوحيد) إذا استقر في وجدان الموحِّد سيكون عنصراً هاماً في تحويله إلى طاقة هائلة تتفجر في جميع الاتجاهات ليسهم في التأسيس لحضارة ومجتمع (عامل مثابر للعمل للصالح)، وإلا كان ظالماً. قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:٥٧].

ولا يخفى أن تكريس هذه القيمة الفرعية على أساس التوحيد سيدفع بمثل هذا المجتمع إلى الإنتاج لكل ما هو مفيد مادياً ومعنوياً.

٤ ـ فعل الإحسان

يستمر زارع شجرة التوحيد في قطف ثمارها الطيبة،

ومنها (الإحسان). وهو مفهوم واسع وشامل، غير أن الآية هنا تعرَّضت لمسألة الامتداد خارج الذات، لأن الموحِّد لا يمكن أن يكون أنانياً لا يبالي بآلام الآخرين، خصوصاً المحرومين والمستضعفين، ولأن الموحِّد يسعى للحظوة بمحبة الله فإنه يجتهد في القيام بـ(الإحسان) من خلال (الإنفاق)، فقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥].

وما أحوج المجتمع المتحضِّر إلى هذه القيمة لنحصل على ما نفتقده في الحضارات غير التوحيدية من (الإحسان) الذي لا يقف عند فعل الخير مجرداً بل يتجاوزه إلى النية، ليكون كلٌّ من الفعل والفاعل موصوفين بـ(الحُسن).

٥ ـ إقامة القسط والعدالة

لتبيان هذه القيمة المتفرِّعة على أصل التوحيد أستعرض نصين اثنين:

النص الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩].

فقد يقع بين جماعات المؤمنين خلافات يديرونها بطريقة غير حكيمة تنتهي بهم إلى احتدام الخلاف حتى الاقتتال. والمطلوب من جماعة المؤمنين أن يسعوا إلى حل الخلاف بالإصلاح قدر المستطاع وتحت الضوابط الشرعية العادلة والأخلاقية، بداعي إيصال الحق إلى أصحابه من المختلِفين فإن تعنَّت طرف من الأطراف وكشف عن عدوانيته جاز مقاتلته ليفيء إلى أمر الله وشرعته.

النص الثاني: قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨].

والنصان معاً يبينان أهمية إقامة القسط والعدل في المجتمع التوحيدي في مقام التأكيد على أن التوحيد يتصدَّع إذا لم يَقُم الموحِّدون ـ كما يزعمون ـ بالقسط والعدل.

والفرق بين النصين أن الأول يعالج إقرار العدل والقسط في المجتمع المسلم وبين أطراف مسلمين، فيما يعالج النص الثاني إقرار القسط والعدل مع جماعات غير مسلمة. وهذا وذاك يؤكدان على أن هذه القيمة مطلقة لا مناص من الإيمان بها وتجسيدها مع المؤالف والمخالف.

٦ ـ الجهاد والمقاومة

قد تضطر جماعة المسلمين إلى الدفاع عن نفسها مقابل خصومها الذين يتربصون بها الدوائر، والدفاع بطبيعته عملٌ جماعيٌّ لا يسمح بالتفرد، غير أن القصور الفكري والتخلف الأخلاقي قد يدفع بالبعض إلى القيام بأشكال من الجهاد الفردي، الأمر الذي قد يترتب عليه بعض الضرر.

ومن هنا، جاء التوجيه الإلهي للمؤمنين؛ بدافع توحيدهم له واتباعهم لأوامره، إلى التزام سياسة العمل المشترك كما لو كانوا صفاً كالبنيان المرصوص، كناية عن مدى حبهم وإخلاصهم لبعضهم البعض. وفي هذا السياق قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤].

وهكذا يعمل التوحيد كقيمة كلية والجهاد كقيمة متفرعة عنه على بناء مجتمع راشد وحضارة إنسانية تقف على قاعدة التكاتف الاجتماعي خصوصاً في الشدائد والمحن.

٧ ـ نبذ الفساد الاقتصادي

التحضر الإسلامي التوحيدي لا يسمح بأي شكل من أشكال الاستغلال الرخيص لجهود الآخرين، بل إنه يشجع

على الإنتاجية ضمن الضوابط الشرعية والأخلاقية. وفي هذا السياق رفض المشرع الإسلامي (الربا) وعده كسباً غير مشروع وسيكون فاعله معلناً للحرب على الله تعالى والرسول ﷺ، بل إنه عد الربا مرحلة كفرية تدعو إلى بغض الله تعالى لمن وقع فيه، لأنه يريد لعباده البقاء، والربا ممحوق، قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة:٢٧٦].

وعليه، فإن توحيد الله، وما ينبثق عنه من قيم ومنها العدالة الاقتصادية، يسهم بشكل فعال لدى الموحِّدين في حفظ الحقوق لأصحابها، وهذا بدوره يرسي قواعد التحضر والرشد الاجتماعي.

٨ ـ الاستبداد السياسي

قضت سنة الله في خلقه أن يكون هناك حاكم ومحكوم وحكومة تنظم علاقة الناس ببعضهم، ويأمل كل الناس أن تكون الحكومة عادلة وسبباً في إرساء العدل والقسط، غير أن النفوس الشريرة تتسلل إلى مواقع السلطة بطرق غير مشروعة، وذلك بعد أن تخلت عن قيمة التوحيد والخشية من الخالق، فتمارس الاستبداد بكل ما يعنيه من فساد وإفساد وتخريب.

لذلك نجد القرآن الكريم وتكريساً لقيمة الحب الإلهي في النفوس يرفع شعار الرفض المطلق لجميع أشكال الاستبداد من خلال الذم المقذع لمن يكون فاسداً مفسداً، لأن من يفعل ذلك لا يكون موحِّداً وبالتالي لا يكون محبوباً لله، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢١٠].

وهذا النص الشريف بآياته الست يبيِّن حقائق عديدة، منها:

أولاً: أن الناس ليسوا جميعاً من الصادقين في شعاراتهم التي يرفعونها، بل قد يكون غِلُّهم وحقدُهم لا يخطر على البال. في مقابل شريحة صادقة مع نفسها ومع ربها، قد عمَر

التوحيدُ قلوبَ أبنائها إلى درجة التضحية بالغالي والنفيس في سبيل التوحيد.

ثانياً: أن شريحة المنافقين المتخلفة لا تكتفي بالفساد في نفسها، بل تتعداه إلى تجسيده في الخارج على شكل إفساد وإجرام وعدوان معنوي ومادي على الناس.

ثالثاً: أن شريحة المنافقين ترفض أن يُوجَّه لها النصح والوعظ.

رابعاً: أنه لا سبيل لنيل السعادة إلا في توحيد الله تعالى والابتعاد عن الشيطان ونزغاته.

خامساً: أن الشريحتين كلتيهما ستواجهان مصيرهما بين يدي الله لينال الموحدون رضا الله وينال مَن خالفهم سخطَ الله وعذابَهُ.

وهكذا يعمل توحيدُ الله تعالى على صنع جيل من الناس يحرصون على النأي بأنفسهم عن كل ظلم وفساد وإفساد، لتتحقق الحضارة التوحيدية العادلة والرخاء والسعادة الدنيوية تمهيداً للرضا والرضوان في الآخرة.

٩ ـ نبذ العدوان والظلم

تحرص الرؤية التوحيدية، كما جاءت في القرآن، وفي

سياق بيان أصول بناء الحضارة الإنسانية والمجتمع الصالح، على أن ينال كلُّ ذي حق حقَّهُ، كما جاءت في الشرائع السماوية التي شرَّعها الله خالقُ البشر والعارفُ بما يصلح أحوالهم في الدارين ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

وفي هذا السياق نبذت هذه الرؤية جميع أشكال العدوان والظلم، باعتبار ذلك مبعداً عن الله تعالى وموجباً لبغضه وسخطه، فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]. فلك - أيها الإنسان - أن تدافع عن نفسك وتطالب بحقك، وإن تطلَّب ذلك القتال، ولكن ليس لك أن يكون قتالك عدوانياً لا يُراعى فيه الشروط الشرعية والقيم الأخلاقية، وإلا كان عدواناً وظلماً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

وهكذا يصبح التوحيد عاملاً من عوامل صنع السلوك الحضاري والمجتمع الراشد، ويكون أداة صون لهذه الحضارة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا

مُصۡلِحُونَ ﴾ [هود:١١٧]، وينالوا ما قضاه الله وقدره لمن سار وفقاً للسنن ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

الأصل السادس: الحب الإلهي

من أجل أن يُصان (التوحيد) كقيمةٍ فاعلةٍ في حياة الإنسان تدفعه كـ(موحِّدٍ) إلى:

١ ـ تحقيق الصلاح في نفسه وإشاعة الإصلاح في ما حوله.

٢ ـ ليكون حريصاً على أن لا يحركه دافعٌ غير (الإخلاص) الذي يعني النزاهة والسلامة في الغايات والوسائل، فلا ينحرف عن الصراط المستقيم وينجرف إلى حيث المهلِكات.

من أجل ذلك يجب على الموحِّد السعي إلى أن يستقر (حب الله) في وجدانه، وإذا استقر حب الله في الوجدان كان المحب أحرص على أن يبادله محبوبه الود والحب، وأحرص على أن لا تشوه صورته لدى الحبيب ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ولكي يكون الإنسان محبوباً لله تعالى عليه أن يتخلى عن صفات الرذيلة ويتحلى بأضدادها التي هي صفات الفضيلة، لأن كل رذيلة من الرذائل تعني أن حجاباً، قد يكون خفيفاً وقد يكون غليظاً، سيكون بينه وبين الله تعالى وسينقص

منسوب التوحيد في فكره ووجدانه، وسينعكس ذلك على فكره وسلوكه كمناهج وممارسات مغلوطة توقعه في أخطاء وخطايا تضره وتمس غيره، قال تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤] فإما الله تعالى وإما غيره.

لذلك دعا الله عز وجل الناس، وخاصة المؤمنين منهم، إلى الاستجابة الصادقة لدعوة الحياة من خلال التوحيد، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤]، متبعاً ذلك مباشرةً بالتنبيه إلى أن الضرر الدنيوي الذي يلحق بمن يحيد عن سواء السبيل فيكون ظالماً، لن يقف عند حدود المرتكب، بل سيمس بشكل أو بآخر غيرَه من الناس، فقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٥].

ولكي نبتعد عن التحليلات الفلسفية لـ(الحب) ذات الأهمية الفائقة في مظانِّها، ونقترب من الطرح المباشر نذهب إلى تتبع الأسباب التي سيقت في القرآن الكريم ليكون الإنسان محبوباً لله والأخرى التي تجعله غير محبوب لله بل قد يكون مبغوضاً له تعالى، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: ما يحبه الله

١ ــ الإحسان

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].
والواضح للمتتبع أن (الإحسان) مفهوم واسع يشمل موارد كثيرة جداً، يجمعها عنوانان رئيسيان:

العنوان الأول: حسن الفاعل

فليس كل فعلٍ حَسَن مقبولٌ عند الله، لأنه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]. باعتبار أن المتقين هم الذين حرصوا على تنقية ما يقدمونه بين يدي الله من عمل يتناوله (الإحسان) كعنوان عام، من كل ما يجعله مردوداً، فالله طيب لا يقبل إلا الطيب.

العنوان الثاني: حسن الفعل

فليس كلُّ فعلٍ مقبولاً عند الله، لأنه تعالى إنما يرتضي العمل الصالح.

ولكي نحمي الحضارة التوحيدية والمجتمع الموحِّد علينا أن نكرِّس قيمة (الإحسان) لتكون سبباً من أسباب محبة الله تعالى لنا ومحبته لنا ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].
فالموحد لا يحركه في ما يقوم به برامج ومشاريع شيء غير

نشدان (الإحسان)، وليس إرضاء فلان وفلان من الناس.

ويجب التنبيه إلى أن النص أطلق الأمر بالإحسان ﴿أَحْسِنُوٓاْ﴾ فلم يذكر متعلَّقه للإشارة إلى أنه لا فرق في نوع الإحسان بين أن يكون لمصلحة المحسن نفسه أو لمصلحة غيره.

٢ ـ طاعة النبي محمد ﷺ

في سبيل حماية البعد التوحيدي للحضارة المنشودة يجب أن لا نغفل أن ثمة قناة معرفية يجب التلقي منها، ويجب العمل على امتثال أوامرها ونواهيها، وهذه القناة هي الرسول ﷺ، باعتباره المخاطَب بالوحي ليتولى هو إيصال مضمونه إلى الناس. قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران:٣١].

ومن شأن هذه الطاعة ـ بنص الآية ـ أن يكون المطيع محبوباً لله تعالى، وإذا أحب الله عبداً وفقه إلى فعل الخيرات وأعانه على أن يسهم في بناء الحضارة التوحيدية والمجتمع الموحِّد.

٣ ـ التقوى

لا نستطيع حماية (التوحيد) في أنفسنا فضلاً عن آثاره دون أن تكون (التقوى) هي الحاكمة على سلوكياتنا في جميع

المجالات ومع جميع الأطراف قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٨].

إذا حققنا التقوى كذلك وأصبحنا من المتقين أحبنا الله، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:٧٦]، وإذا أحبنا وفقنا، وإذا وفقنا نمت حضارتنا ورشُد مجتمعُنا.

فـ(التوحيد) إذا حكمت به الحضارة وكان أساس بنائها لا يسمح لسياسة لا تقوى فيها ولا اقتصاد ينافي التقوى أو تعليم يضاد التقوى، وهكذا.

٤ ــ التوبة

لكي نحمي ما قدمناه من أصول لتشييد الحضارة يجب أن نقيمها على أساس (حب الله) وهذا الأساس لا نناله بغير التوبة التي ننقي وجودنا من مختلف أشكال التلوث التي تنأى بنا عن ساحة الطهر الإلهي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢].

٥ ــ التوكل

لا غنى للحضارة التوحيدية وأبنائها من أن يستلهموا من الله تعالى الدروس والعبر ويحظوا برعايته وتوفيقه، وهذا يعني أن يتولوه ويتولاهم، أي يحبهم ويحبونه، وهذا يتوقف على التوكل، قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وثمرة هذه الفضيلة أن الشدائد والمحن لا تفت في عضد الموحِّدين بل إنها قد تدفع بهم إلى تجنب الانحياز إلى أي معسكر شرقي أو غربي، لعلمهم أن الله وحده ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود:١٢].

٦ ــ الجهاد

قد لا نجد حضارة إنسانية لم تواجه متاعب عرَّضت وجودَها للخطر، لذلك اتفقت جميع الحضارات على التوفر على عناصر القوة الكفيلة بالدفاع وسد منافذ الخطر، وقد تُستثمَر تلك العناصر في الهجوم والتوسع .

والحضارة الإسلامية ليست بدعاً من هذه السنة، فشرعت لهذا الغرض ما نسميه بـ(الجهاد)، مشترطةً أن يكون في سبيل الله ، ليبقى فعلاً توحيدياً عادلاً يحقق العدالة والقسط، لا شيطانياً ظالماً تُنتهَك فيه الحقوق وتُزهق فيه النفوس بالباطل.

بل عُدَّ (الجهاد) أثراً من آثار التوحيد وسبباً لمحبة الله يجتلبها المجاهد لنفسه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وبهذا (الجهاد) نحصل على محبة الله لنبقي على شعلة التوحيد متَّقدةً يستضاء بها في العتمة الحالكة.

٧ ــ التماسك الاجتماعي

تعتبر الرؤية القرآنية (التماسك الاجتماعي) عاملاً من عوامل نيل محبة الله، وبالتالي يعد أحد عوامل توحيدية الحضارة وربانية المجتمع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤]. وذلك أن التنازع والفرقة يصب في الاتجاه المعاكس لمرضاة الله وأحكامه، ويشكل سداً دون تحقيق الغايات الربانية، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وعليه، فلا مناص من التأكيد على ما يزيلها ويحقق ضدها وهو المحبة والمودة، خصوصاً في أوقات الشدائد، التي لا يكاد يخلو منها مجتمع أياً كان وأنى كان.

٨ ــ الصبر

من عوامل الوصول إلى محبة الله تعالى أن يتحلى الإنسان بـ(الصبر)، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[آل عمران:١٤٧].

وعلة ذلك وفلسفته لا نحتاج في بيانها إلى حديث طويل ومسهَب، لأن مَن لا يصبر يُخفقْ في الثبات على طاعة الله، وفي الاستقامة على خطه تعالى، وفي الانضباط على عدم ارتكاب معاصيه ونواهيه. وصدق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: لا يُعدَم الصبورُ الظفرَ وإن طال به الزمان)[١].

٩ ــ الطهارة والنظافة

مما يوجب محبة الله حرص العبد على توفره على عنصري الطهارة من خلال التوبة والكف عن ارتكاب ما لا يرضاه الله تعالى، ومن خلال النظافة التي هي (من الإيمان)[٢]، قال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٣.

(٢) كتاب الطهارة للسيد أبو القاسم الخوئي، ج ١ ص ٢٨.

وفي هذا السياق جاءت الإشادة بالساعِين إلى المساجد مستهدفين تطهير أنفسهم لعلمهم أن ذلك هو الطريق إلى رضا ربهم، قال تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨].

١٠ــ العدالة

من السياجات الأساسية لحب الله تعالى، ولبناء حضارة توحيدية هو أن نحقق (العدالة) ونقوم بـ(القسط)؛ لينال كل ذي حق حقه، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩].

تلك عشرة كاملة من الأسباب التي توفر لبناة الحضارة أن يكونوا راضين في ذواتهم مرضيين من خالقهم وعند الخلق.

المطلب الثاني: ما لا يحبه الله

١ ــ الكفر

العامل الأول من عوامل افتقاد محبة هو أن يكون الإنسان مبتلى برذيلة (الكفر). وهذه الرذيلة، بجميع مظاهرها وتجلياتها الفكرية والأخلاقية والسلوكية، تمثِّل التحديَ الأشد لحقائق الوجود التي تؤكد بأجمعها أن الله تعالى هو الخالق والمالك والمولى ... ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾[الإسراء:٤٤].

وقال الشاعر:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدل على أنه واحدُ

لهذا كان الكفرُ هو المبغوض الأول، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ۞ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ۞ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الروم:٤٣ ـ ٤٥].

والآية الكريمة تبيِّن بوضوح أن كفر الكافر لا ينقص من ملك الله شيئاً ولا يغير من حقائق الوجود ذرةً، وإنما هو يلحق الضرر المباشر وغير المباشر بصاحبه، وأول تلك الأضرار

وأشنعها فقدان محبة الله وما يترتب على هذه المحبة من وجوه الحرمان، ومنها أن يوفق الإنسان لبناء حضارة إنسانية الذي من لوازمه حسن التفكير والتدبير، وهذا لا ينسجم مع الكفر لأنه أجلى مظاهر سوء التفكير والتدبير لإدارة شؤون الذات فكيف بما هو خارجٌ عنها.

وقد تسأل عن الطريق الذي يؤدي الإنسان إلى أن يكون محبوباً وخلافه ليكون غير محبوب، لأجابك القرآن بقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣١ - ٣٢].

فلكي يحبك الله يلزمك الالتزام فكرياً وعملياً بمنهج رسول الله ﷺ؛ أي سنته، لتنال مكافأتين اثنتين:

الأولى: حب الله تعالى، بكل ما يعنيه من ولايته ورعايته لك وحمايتك وتجنيبك ما يضرك ويشينك.

الثاني: غفران الذنوب وما يترتب على ذلك من محو الآثار السلبية لكل خطأ وخطيئة.

ولو لم تلتزم بهذا المنهج بأن تطيع الله تعالى بطاعة رسوله ﷺ فإنك تكون متولياً ومعرِضاً بوجهك عن الحق

والحقيقة وستكون متنكِّراً لأوضح الواضحات، وذلك هو (الكفر)، وعليك تحمل أشد آثاره خطورة وهي أن الله لن يحبك نعوذ به سبحانه من ذلك.

٢ ـ الاستكبار

(الاستكبار) هو العامل الثاني من عوامل افتقاد محبة الله، وهو في حقيقته نتيجة للعامل الأول أعني الكفر، كما أنه سببٌ له من زاوية أخرى. قال تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:٢٢ - ٢٣].

والاستكبار يعني: الترفع والاعتداد بالذات أمام حقائق فكرية وسلوكية واضحة، وإلا فما معنى أن ينكر الإنسان ما أخبر خالقُهُ بوجوده من جهة وما تقتضيه عدالته حيث يقتص من المذنب والظالم؟! وهل يستحق اتباع الشهوات أن يتنكر للواضح وينكره بقلبه؟!

٣ ـ الظلم

ثالث العوامل الموجبة لسخط الله وبغضه أن يكون الإنسان ظالماً، والظلم كما هو واضح مراتبٌ وأشكال.

غير أنها تجتمع في أنها ظلم للنفس أولاً، ثم قد تكون مع ذلك ظلماً للخلق، أو للخالق، أو لهما معاً، أو للثلاثة جميعاً.

أ ـ فمثلاً ظلم بنو إسرائيل أنفسهم بالتنكر للتوحيد والقول بالتجسيم، ونكران جمل الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٤ - ٥٧].

ب ـ ووقع الظلم الكبير ممن حال بين المسجد وأدائه لدوره، وبين بين أن يرتاده عباد الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

ج ـ ووقع في ظلم قبيح من تعدى على الأيتام القاصرين بأكل أموالهم بغير حق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ

ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء:١٠].

وعلى أي حال، فالظلم بجميع صوره موجب لحرمان العبد من محبة الله، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:٥٦ – ٥٧].

٤ ــ الفساد

الرؤية التوحيدية ـ كما قدمنا ـ تقوم على القسط والعدل، لذلك فإنها تحرِّم وتجرِّم جميع أشكال التعدي وسلب الحقوق، وهذا لا يحصل عادة إلا بعد أن يتغلغل (الفساد) في العقل والنفس، وهو يعني: انحراف المخلوق عما خلق من أجله، أي عن فلسفة وجوده.

ورذيلة (الفساد) هذه قد تتمظهر في قوالب عديدة، منها:

أ ــ الفساد السياسي، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ

وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[البقرة:٢٠٤ - ٢٠٥]. ولهذا النوع من الفساد آثاره المدمرة في غير صعيد.

ب ـ الفساد الاجتماعي، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]. ولهذا النوع من الفساد أيضاً آثار مدمرة، خصوصاً في المجال السياسي والاقتصادي والأخلاقي.

ومقولة (الفساد) رذيلة معرفية وأخلاقية وسلوكية تستوجب أن يكون ممارسُها مبغوضاً، كما صرحت بذلك الآيتان الكريمتان.

٥ ـ الخروج عن الضوابط الشرعية

لا مجال في البناء الحضاري التوحيدي لأن يمارس الموحِّد دوره في الحياة بعيداً عن مقتضيات رؤيته التوحيدية التي يجب أن تكون منطلَقاً وقاعدةً لأفعاله وأقواله، فالغايات يجب أن تكون مشروعة وكذلك الوسائل، فليس من حقه استخدام وسائل (غير شرعية) في سبيل تحقيق غاياته (المشروعة)، وإلا كان معتدياً مبغوضاً من قبل الله تعالى، فالمجاهد في سبيل ـ مثلاً ـ هو في صدارة قافلة المرضي عنهم، لأنه أبدى استعداداً

لتقديم أغلى ما يملك، وهو نفسه، في طريق نصرة الله ودينه، مع ذلك فإن هذا المجاهد نفسه سيكون مبغوضاً لله لو أنه اعتمد وسائل غير مشروعة في تحقيق مقاصده النبيلة، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠].

فالرؤية الحضارية ـ إذن ـ تفرض أن يكون أساسها مبنياً على القرب من الله، وهذا يتوقف على محبته، الأمر الذي يعني أن لا نكون (معتدين).

٦ ـ الإسراف

(الإسراف) هو: استعمال نعم الله تعالى بأزيد مما تقتضيه الحاجة. وهي رذيلة أخلاقية تؤثر في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء، وهو سلوك يؤدي بصاحبه إلى البعد عن الله والحرمان من توفيقه.

والرؤية الحضارية التوحيدية لا تسمح بمثل هذا التصرف لأن فيه تضييعاً للنعمة وخيانةً للأمانة وتفويتاً لكثير من المنافع، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام:١٤١].

٧ ــ الفساد الاقتصادي: الربا

البناء الحضاري كما يقتضيه التوحيد يفرض أن تكون العلاقات بين الناس قائمة على قواعد ومبادئ، منها:

أ ــ (العدل) الذي يعني إعطاء كل ذي حقه حق.

ب ــ (المحبة) التي تعني: احترام خلق الله والشعور بالمودة تجاههم لأنه نظائر في الخلق.

ج ــ (المسؤولية) التي تعني: القيام بما يلزم تجاه الخلق للرقي بهم والدفاع عن المظلوم منهم.

وهذه المبادئ تفرض أن يراعي كل واحد احتياجات الآخرين من جهة، وظروفه من جهة أخرى. ومن هنا، فإن الربا بشقيه (القرضي، والمعاملي) موجب لسخط الله تعالى، لأنه يكشف عن حالة ن الانتهازية والأنانية لا تلتقي وروح التوحيد الذي يستبطن الرحمة. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٦].

ثم إن الربا هو مظهر لفساد اقتصادي لا يمكن أن تُشيَّد حضارةٌ حقيقيةٌ وهو حاضرٌ فيها.

٨ ــ الاختيال والفخر

الحضارة التي تقوم على أساس التوحيد تستبطن في أعماقها (الروح الأخلاقية) وبالتالي فلا يمكن أن نبني حضارة إنسانية راشدة دون أن يتحلى المنتمون إليها بهذه الروح، وإذا افتقدناها خلت قلوبنا من حب الله تعالى وحُرمنا توفيقَهُ وعونَهُ وتسديدَهُ، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣].

٩ ــ الخيانة

من عوامل حفظ محبة الله لنا وحبنا له أن لا نقع في رذيلة (الخيانة)، وهي: عدم الوفاء بمقتضى العقود التي التزمنا بها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧]، وقال

تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[الأنفال:٥٨].

ولا فرق في قبح الخيانة بين أن يتملص الإنسان من التزاماته تجاه الخالق أو الخلق. وبذلك يتسع معنى الخيانة ليستوعب الشؤون الفردية والعامة، والمسائل الأخلاقية والتشريعية ...

فالتوحيد ـ إذن ـ يبعث في نفوس الناس الاستقرار والاطمئنان بأن الموحِّد الصادق لا يُخشَى جانبه فهو مأمولٌ خيرُهُ مأمون شرُّهُ.

١٠ ـ هتك حرمات الناس

وآخر العوامل التي نذكرها هنا كمانع من موانع محبة الله هو أن لا يراعي الإنسان حرمات الآخرين، فيقع فيهم فعلاً؛ بالضرب والقتل ونحوهما، أو قولاً بالغيبة والنميمة والسب ونحو ذلك، دون أن يكون شيءٌ من تلك الأفعال أو الأقوال مبرَّراً ومشروعاً كما هو مسطور ومذكور في كتب الفقه والأخلاق[1]، قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ

(١) والمسألةُ ـ بعدّ ـ مظنَّةٌ لمزال الأقدام والأفهام حيث يجتهد العصاة ومرتكبو هذه الخطايا ـ عادةً ـ في تبرير أفعالهم المبغوضة لله بمختلف التبريرات التي لولاها لكشف زيفُهم أمام الناس، لذلك يقومون بالتحضير للغيبة بأن من سيغتابون بلغ مرحلة الفسق، ليكون ذلك قاعدةً لجواز الغيبة، أو أنه بلغ مرحلة الكفر ليترتب=

ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٤٨].

ومن فعل ذلك فقد وقع في مكروه الله ومبغوضه الأمر الذي يعني أن ذلك قد يسري إليه نفسه فيكون غير محبوب لله تعالى وذلك يستلزم سلب التوفيق، فكيف يكون مثل هذا أميناً على بناء حضارة إنسانية أو مجتمع راشد.

=على كفره أحكام الكافر وهكذا.

مسك الختام

نخلص من كل ما تقدم أن الحضارة التوحيدية تقوم على ثنائية:

١ ـ العلم، فلا يسمح فيها بتشييد الحضارة على أسس غير علمية.

وهذا العلم تارة يكون:

أ ـ الوحي، ومورده: المعارف التي لا يمكن للناس أن ينالوها بإدراكهم، أو أنها تمثل ساحة من ساحات الله لا مجال لتدخل العباد فيها.

ب ـ العقل، ومورده: ما كان من قبيل الرياضيات والعلوم الفلسفية والمنطقية.

ج ـ التجارب، ومورده: المسائل المادية من قبيل الفيزياء والكيمياء ... وبعض المسائل الإنسانية كالمؤثرات على النفس البشرية، مما يبحثه علماء النفس والدعاية ...

٢ ـ العمل، فلا مجال للكسل والخمول في الرؤية التوحيدية للحضارة.

وهذا العمل تارة يكون:

أ ــ عبادياً، نمارس فيه عملاً نمتثل أمر الله ونهيه، بفعلِ أشياءَ؛ كالصلاة والزكاة والخمس والجهاد في سبيل الله ... أو تركُ أشياءَ؛ كالصوم، أو القيام بأعمال فيها تركٌ تارةً وفعلٌ تارة أخرى؛ كالحج.

ب ــ اجتماعياً، نقوم فيه بتنظيم علاقاتنا مع الخلق مؤالفين أو مخالفين.

جـ ــ اقتصادياً، نقوم فيه بنشاطات من شأنها تحصيل مؤونة العيش أو التكاثر المالي عبر الإنتاج الزراعي أو الصناعي أو التجاري ...

د ــ سياسياً، ننظم فيه علاقة الناس بعضهم ببعض، فيما يتعلق بالشأن العام من قبيل علاقة الحكام بالمحكوم والمحكوم بالحاكم، وما هي واجباتُ كلِّ طرفٍ وحقوقُهُ ...

وهكذا تنبسط الرؤية التوحيدية على جميع مناحي حياة الفرد والجماعة لتؤسس لحضارة تقوم على أساس إعطاء كل ذي حقه حقه، بدءً من الخالق عز وجل؛ فلا يُعتدى عليه عبر

الكفر أو الشرك أو الإلحاد أو التشبيه أو التقصير في التزام أوامره ونواهيه، مروراً بالموافقين لنا في الدين والمذهب؛ بأن نبتعد كل البعد عن أي شكل من أشكال العدوان والظلم مادياً أو معنوياً، وانتهاء بالمخالفين لنا في الدين والمذهب؛ فلا ننتقص من حقوقهم بهذا الشكل أو ذاك.

وتؤكد هذه الرؤية كما جاءت في القرن الكريم على أن من التزم ذلك أحبه الله تعالى وبارك له، ومن خالف ذلك حرم من الخير كله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

وهذا ما عمل الأنبياء عليهم السلام جميعاً وعبر التاريخ على الدعوة إليه، فقد قال تعالى حكايةً لما جاء على لسان عبده ونبيه موسى عليه السلام مخاطبٌ قومه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

وهذا وعدٌ إلهيٌّ لا يتخلف قُدِّم لمن توفر على عنصر الصلاح في نفسه وحقق العبودية لربه، ولم يرسَل النبي محمد صلى الله عليه وآله وتختم به النبوات لغرض غير هذا، ومن رد عليه قوله فمآله الشخصي ومآل مدنيته وحضارته الوهمية أن

تزول وتفنى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۞ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۞ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۞ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۞ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١١٢].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

المبحث الأول

المبحث الثاني

التوحيد يعني: استلهام جميع المعارف النظرية، أعني الرؤية الكونية وما يتفرّع عنها، وجميع الأحكام العملية في الجانب التشريعي وفي الجانب القيمي من الايمان بالله تعالى خالقاً ورباً .

هذا يستلزم دوران جميع أحكام الدين حول (التوحيد) الأمر الذي يؤكد أن بناء الحضارة الإنسانية، وبناء المجتمع الإنساني يجب أن يتمحور حول التوحيد، وبعبارة أخرى: تشييد حضارة توحيدية ومجتمع موحِّد.

المؤلف


ISBN 9953-546-49-0
9 789953 546490



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

H.Moussa 03/ 335797